تفسير القرآن الكريم

سورة آل‌عمران ١١-٨-١٤٠٤ ٢٩

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادوي الطهراني

سورة آل‌عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة آل‌عمران

الم(١)

سورة آل‌عمران

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ(٢)

سورة آل‌عمران

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنزَلَ التَّوْرَئةَ وَ الْانجِيلَ(٣)

مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَ أَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِايَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ(٤)

سورة آل‌عمران

إِنَّ اللَّهَ لَا يخَفَى عَلَيْهِ شىَءٌ فىِ الْأَرْضِ وَ لَا فىِ السَّمَاءِ(۵)

سورة آل‌عمران

هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(٦)

هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ
مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَ أُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ
فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَ مَا يَعْلَمُ
تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِهِ كلُ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلَّا
أُوْلُواْ الْأَلْبَابِ(٧)

سورة آل‌عمران

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا
وَ هَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ
أَنتَ الْوَهَّابُ(٨)

سورة آل‌عمران

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ(٩)

سورة آل‌عمران

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْا وَ أُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ(١٠)

كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِايَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ(١١)

سورة آل‌عمران

قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلَىَ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهَادُ(١٢)

سورة آل‌عمران

قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ
تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرَى كَافِرَةٌ
يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ وَ اللَّهُ
يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَالِكَ
لَعِبرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَرِ(١٣)

قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فی فِئَتَیْنِ الْتَقَتا

- قوله تعالی: قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فی فِئَتَيْنِ الْتَقَتا، ظاهر السياق أن يكون الخطاب للذين كفروا، و الكلام من تتمة قول النبی ص: سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ «إلخ»

الميزان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۹۲

قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتا

- و من الممكن أن يكون خطابا للمؤمنين بدعوتهم إلى الاعتبار و التفكر بما من الله عليهم يوم بدر حيث أيدهم بنصره تأييدا عجيبا بالتصرف فى أبصار العيون،
- و على هذا يكون الكلام مشتملا على نوع من الالتفات بتوسعة خطاب رسول الله ص فى قوله: «قُلْ لِلَّذِينَ» بتوجيهه إليه و إلى من معه من المؤمنين، لكن السِّيَاق، كما عرفت، للأول أنسب.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩٢

قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِى فِئَتَيْنِ الْتَقَتا

- و الآيۀ- بما تشتمل عليه من قصۀ التقاء الفئتين و نصرۀ تعالى للفئۀ المقاتلۀ فى سبيل الله- و إن لم تتعرض بتشخيص القصۀ و تسميۀ الوقعۀ غير أنها قابلۀ الانطباق على وقعۀ بدر، و السورۀ نازلۀ بعدها بل و بعد أحد.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۹۲

قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِى فِئَتَيْنِ الْتَقَتا

- على أن الآية ظاهرة فى أن هذه القصة كانت معهودة عند المخاطبين بهذه الخصوصية و هم على ذكر منها حيث يقول: قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ «إلخ» و لم يقص تعالى قصة يذكر فيها التصرف فى أبصار المقاتلين غير قصة بدر،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩٣

قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتا

- و الذى ذكره فى قصة بدر فى سورة الأنفال من قوله تعالى: «وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فى أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولًا وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ»: الأنفال- ۴۴، و إن كان هو التقليل دون التكثير لكن لا يبعد أن يكون قد قلل فيها المؤمنين فى أعين المشركين ليجترئوا عليهم و لا يتولوا عن المقارعة ثم كثرهم فى أعينهم بعد التلاقى و الاختلاط لينهزموا بذلك.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۹۳

قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِى فِئَتَيْنِ الْتَقَتا

- و كيف كان فالمعتمد ما كان فى ذكرهم من التكثير فى العيون فعلى تقدير أن يكون الخطاب فى الآية متوجها إلى المشركين لا تنطبق الآية على غير وقعة بدر، على أن قراءة ترونهم بالتاء أيضا تؤيد ما ذكرناه.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩٣

قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِى فِئَتَيْنِ الْتَقَتا

- فمحصل معنى الآية: أنكم أيها المشركون لو كنتم من أولى الأبصار و البصائر لكفاكم فى الاعتبار و الدلالة على أن الغلبة للحق و أن الله يؤيد بنصره من يشاء و لا يغلب بمال و لا ولد ما رأيتموه يوم بدر

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩٣

قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِى فِئَتَيْنِ الْتَقَتا

- فقد كان المؤمنون مقاتلين فى سبيل الله سبحانه، و قد كانوا فئة قليلة مستذلين لا يبلغون ثلث الفئة الكافرة، و لا يقاسون بهم قوة، كانوا ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا ليس لهم إلا ستة أدرع و ثمانية سيوف و فرسان، و كان جيش المشركين قريبا من ألف مقاتل لهم من العدة و القوة و الخيل و الجمال و الهيئة ما لا يقدر بقدر،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩٣

قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِی فِئَتَیْنِ الْتَقَتا

- فنصر الله المؤمنين على قلتهم و ذلتهم على أعدائه و كثرهم فی أعينهم فكانوا يرونهم مثليهم رأی العين، و أيدهم الملائكة فلم ينفع المشركين ما كانوا يتعززون به من أموال و أولاد و لم يغنهم جمعهم و لا كثرتهم و قوتهم من الله شيئا.

الميزان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۹۳

قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِى فِئَتَيْنِ الْتَقَتا

- و قد ذكر الله سبحانه دأب آل فرعون و الذين من قبلهم فى تكذيب آيات الله و أخذهم بذنوبهم فى سورة الأنفال عند ذكر القصة مرتين ما ذكره هاهنا بعينه.

- كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِايَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ(الأنفال ٥٢)

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩٣

قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِى فِئَتَيْنِ الْتَقَتا

- و فى موعظتهم بتذكير وقعة بدر إيماء إلى أن المراد بالغلبة فى الآيات السابقة الغلبة بالقتل و الإبادة ففى آياته تهديد بالقتال.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩٣

فِئَةٌ تُقاتِلُ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ أُخْرى كافِرَةٌ

- قوله تعالى: فِئَةٌ تُقاتِلُ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ أُخْرى كافِرَةٌ، لم يقل و أخرى فِی سَبِیلِ الشَّیطانِ أو فِی سبیل الطَّاغوت و نحو ذلک لأن الكلام غير مسوق للمقايسة بين السبيلين بل لبيان أن لا غنى من الله تعالى و أن الغلبة له فالمقابلة بالحقيقة بين الإيمان بالله و الجهاد فی سبيله و بين الكفر به تعالى.

الميزان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۹۴

فِئَةٌ تُقاتِلُ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ أُخْرى كافِرَةٌ

- و الظاهر من السياق أن الضميرين فی قوله يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ راجعان إلى قوله: فِئَةٌ تُقاتِلُ، أی الفئة الكافرة يَرونَ المؤمنين مثلی المؤمَنين فهَم يرونهم ستمائة و ستة و عشرين و لقد كانوا ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا، و أما احتمال اختلاف الضميرين مرجعا بأن يكون المعنی: يرون المؤمنين مثلی عدد الكافرين فبعيد عن اللفظ، و هو ظاهر.

الميزان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۹۴

فِئَةٌ تُقاتِلُ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ أُخْرى كافِرَةٌ

- و ربما احتمل أن يكون الضميران راجعين إلى الفئة الكافرة، و يكون المعنى:يرى الكافرون أنفسهم مضاعفة مثلى عددهم (يرون الألف ألفين) و لازمه تقليلهم المؤمنين فى النسبة فكانوا يرونهم سدس أنفسهم عددا مع كونهم ثلثا لهم فى النسبة و ذلک ليطابق ما ذكره فى هذه الآية قوله تعالى فى قصة بدر: «وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِی أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَ يُقَلِّلُكُمْ فِی أَعْيُنِهِمْ»: الأنفال- ۴۴، فإنَ الآيةَ تنافىَ الآية.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۹۴

فَئَةٌ تُقاتِلُ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ أُخْرى کافِرَةٌ

- و أجیب بأَن ذلک یؤدی إلی اللبس غیر اللائق بأبلغ الکلام بل کان من اللازم علی هذا أن یقال: یرون أنفسهم مثلیهم أو ما یؤدی ذلک.

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۹۴

فِئَةٌ تُقاتِلُ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ أُخْرى کافِرَةٌ

- و أما التنافی بین الآیتین فإنما یتحقق مع اتحاد الموقف و المقام، و لا دلیل علی ذلک لإمکان أن یقلل الله سبحانه کلا من الطائفتین فی عین صاحبتها فی بدء التلاقی لتشد بذلک قلوبهم و تزید جرأتهم حتی إذا نشبت المقارعة و حمی الوطیس رأی الکافرون المؤمنین مثلی عددهم فانهزموا بذلک و ولوا الأدبار،

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۹۴

فِئَةٌ تُقاتِلُ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ أُخْرى کافِرَةٌ

- وِ هذا نظیرِ قولِه تعالیِ فِی وصف یوم القیامة: «لا یُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِه إِنْسٌ وَ لا جانٌّ»: الرحمن- ۳۹، مع قولـه: «و قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ»: الصـافات- ۲۴، و لـیس إلا أن اَلموقف غیر الموقف.

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۹۴

فِئَةٌ تُقاتِلُ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ أُخْرى کافِرَةٌ

- و فی شأن الضمیرین أعنی فی قوله: یَرَوْنَهُمْ مِثْلَیْهِمْ، احتمالات أخر ذکروها غیر أن الجمیع تشترک فی کونها خلاف ظاهر اللفظ، و لذلک ترکنا ذکرها، و الله العالم.

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۹۴

و اللّه يؤيد بنصره من يشاء، إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي اَلْأَبْصَارِ

- قوله تعالى: وَ اللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشاءُ، إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ، التأييد مَن الأيد و هو القوة، و المراد بالأبصار قيل: هو العيون الظاهرية لكون الآية مشتملة على التصرف في رؤية العيون، و قيل: هو البصائر لأن العبرة إنما تكون بالبصيرة القلبية دون البصر الظاهري، و الأمر هين،

الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩٤

و اللّه يؤيد بنصره من يشاء، إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي اَلْأَبْصَارَ

- فإن اللّه سبحانه َفيَ كلامه يعَد من لا يعتبر بالعبر و المثلات أعمى، و يذكر أن العين يجب أن تبصر و تميز الحق من الباطل و فى ذلک دعوى أن الحق الذى يدعو إليه ظاهر متجسد محسوس يجب أن يبصره البصر الظاهر، و أن البصيرة و البصر فى مورد المعارف الإلهية واحد (بنوع من الاستعارة) لنهاية ظهورها و وضوحها، و الآيات فى ذلک كثيرة جدا،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩٥

و اللّه يؤيد بنصره من يشاء، إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي اَلْأَبْصَارَ

- و من أحسَنها دَلالةً علىٰ ما ذكرنا قوله تعالى: «فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ و لكنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»: الحج- ۴۶، أى إنَ الأبصار إنما هِيَ فِي القلوب دون الرءوس، و قوله تعالى: «و لَهُمْ أَعْيُنٌ لا يبصِرُون بِها»: الأعراف- ۱۷۹، و الآية فِي مقام التعجيب، و قوله تعالى: و جَعَلَ عَلىٰ بَصَرِهِ غِشاوَةً»: الجاثية- ۲۳، إلى غير ذلك من الآيات،

الميزان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۹۵

و الله يؤيد بنصره من يشاء، إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي اَلْأَبْصَارَ

- فالمراد بالأبصارَ فيَما نحن فَيه هو العيون الظاهرية بدعوى أنها هى التى تعتبر و تفهم فهو من الاستعارة بالكناية، و النكتة فيه ظهور المعنى كأنه بالغ حد الحس، و يزيد فى لطفه أن المورد يتضمن التصرف فى رؤية العين الظاهرة.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩٥

و اللّه يؤيد بنصره من يشاء، إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِى اَلْأَبْصَارِ

- و ظاهر قوله: إِنَّ فِى ذٰلِكَ «إِلخ» أنه تتمة لكلامه تعالى الذى يخاطب به النَبِىَ ص و لَيس تتمة لقول النبى المدلول عليه بقوله: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا «إِلخ»، و الدليل عليه الكاف فى قوله: ذٰلِكَ، فإنه خطاب للنبى ص، و فى هذا العدول إلى الخَطاب الخاص بالنبى ص إيماء إلى قلة فهمهم و عمى قلوبهم أن يعتبروا بأمثال هذه العبر.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٩٥

سورة آل‌عمران

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَمِ وَ الْحَرْثِ ذَالِكَ مَتَعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَ اللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَابِ(١٤)